أنا لست عقبة في طريق «آدم»

أنا أخطئ أحيانًا! أترك جرحًا في قلب صغيري أحيانًا! أرى ألمه فأعتذر وأغرق في قاع المحيط. ينتشلني «آدم» كثيرًا بيديه الصغيرتين ويأخذني إلى عالمه المبهر، كل شيء مبهر بالنسبة له. أدخل معه عالمه وأفتح له أبواب المعرفة وحب التجربة. أتمنى ألا أقف في يوم من الأيام عقبة في طريقه.

آمنت «ماريا مونتيسوري» بأن كل طفل يولد وبداخله عالمٍ صغير، ومن خلال ملاحظتها للأطفال، وجدت أن الطفل الذي لم يتم عامه الأول، ويصر على رمي كل شيء على الأرض، ليس إلا عالمٍ صغير منبهر بالجاذبية الأرضية. اكتشفت أن الطفل في عامه الثاني يُجري العديد من التجارب المشابهة ليتعلم خواص الأشياء، فهو يكرر نفس الأفعال ليرى إذا كان سيحصل على نفس النتيجة أو لا! لكن للأسف العديد من الأمهات والآباء يقفون في طريق العالمِ الصغير ويمنعوه من إجراء تجاربه حتى لا تنكسر أشياؤهم الثمينة!

يعتمد نهج المونتيسوري على تشجيع استكشافات الطفل في بيئة آمنة ومعدة خصوصًا له! تقدم له الأنشطة وفقًا لفتراته الحساسة واهتماماته وميوله، ويستخدم أدوات حقيقية

تمامًا ولكنها أصغر حجمًا وأقل وزنًا من أدوات البالغين.

فمثلًا في المثال الأول للطفل الذي يستمتع بإلقاء الأشياء على الأرض، جهزوا له عدة أشياء مصنعة من خامات مختلفة ليرى كيف تسقط، كرة مطاطية، فنجان من البلاستيك، مكعب خشب، فوطة صغيرة، وهكذا! بالنسبة للزجاج والصيني، سوف يكسر الطفل على الأقل كوبًا أو طبقًا واحدًا حتى يعرف ويتعلم قابلية الزجاج للكسر، وأهم شيء في هذه الحالة هو رفع الطفل بعيدًا عن الشظايا!

الطفل الذي يستمتع بسكب الأشياء جهزوا له عدة محاليل وسوائل مختلفة ليسكبها من كوب إلى كوب في الحوض أو على سطح ما! ساعدوه في سكب الماء والمياه الفوارة وزيت الزيتون وسائل تنظيف المواعين وسائل شراب السكر وغيرها! طفلكم يتعلم ويستكشف!

في عام الطفل الثالث يمكنكم إعطاؤه ريموت قديم ليتعلم فتحه وإغلاقه وكيفية وضع البطاريات فيه! يمكنكم إعطاؤه مصباحًا يدويًّا _بطارية_ وعلموه كيف يتعرف على السالب والموجب حتى يضيء المصباح.

في مرحلة الطفولة المبكرة، يشجع نهج المونتيسوري على تعريف الطفل بمبادئ التفاعلات الكيميائية مثل التفاعل بين الخل والبيكربونات والليمون والبيكربونات والماء والسكر والنار! قدموا لطفلكم مبادئ الفيزياء مثل الطفو والكثافة والكتلة والتبخر والمغناطيس والحامض والقلوي والضوء وألوانه!

جزء كبير من التجارب في نهج المونتيسوري يعتمد على الملاحظة قبل الاستنتاج! تستخدم هذه التجارب للتفرقة بين الكائنات الحية والكائنات غير الحية، الطفل لا ينظر للكرسي ويقرر أنه غير حي. الطفل لديه قائمة للتمييز بين الكائنات ويراجعها في كل مرة يريد أن يعرف ماهية الكائن، هل يأكل؟ هل يشرب؟ هل يتنفس الهواء؟ هل يتكاثر؟ هل يتحرك؟ هل يخرج فضلات؟ هل يتأثر بالبيئة المحيطة به؟ هل ينمو؟ هكذا يفرق الطفل بين الكائنات والأشياء وهذه هي بذرة التفكير العلمي وكيفية الاستنتاج!

بنفس الطريقة يفرق الطفل بين الحيوان والنبات ويفرق الطفل بين الفَقَاريات

واللافَقَاريات وبين فصائل كل منهم! يعتمد نهج المونتيسوري في هذه التجارب على الإدراك من خلال الحواس! لا يعتمد على الحفظ أو التلقين أو التكرار، يعتمد على المشاهدة والملاحظة واللمس وربط الأحداث ويستخدم الرحلات الميدانية والصور والمجسمات لمساعدة الطفل على الاستمتاع بالتعلم.

تصلني الكثير من الرسائل لأمهات يشتكين من فضول أطفالهن، وللأسف يلصقن بكل محاولاتهم للتعلم صفة التخريب، ويقفن حائلًا بين عبقرية العالِم الصغير والبيئة المحيطة به! إذا رأيتم طفلكم يستكشف بطريقة قد تؤذيه، ساعدوه على استكشاف نفس الشيء في بيئة صديقة وآمنة! شغف الطفل وفضوله هو طوق نجاته من الجهل واللامبالاة، شجعوه ولا تحبطوه!